كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في مؤتمر كليّة العلوم الإقتصاديّة وكليّة العلوم التربويّة، حول "الإبتكار التربويّ والرقميّ في خدمة سوق العمل"، يوم الخميس الواقع فيه ٨ آذار (مارس) ٢٠١٨، في قاعة محاضرات فرانسوا باسيل، في حرم الإبتكار والرياضة.

إنّه لمن الواجب الفكريّ والوديّ أن أرحّب بكم في هاتين المحاضرتين، محاضرة السيّدة لبنى الصغير عويدات، الأستاذة المُحاضِرة في كليّة العلوم الإقتصاديّة والسيّدة وداد وازن، رئيسة وحدة التكنولوجيا الحديثة في التعليم الجامعيّ في كليّة العلوم التربويّة اللّتين ستحدّثاننا، تماشيًا مع مشروع "اديب" ADIP عن الابتكار التعليميّ والرقميّ في خدمة سوق العمل. وفي هذا الإطار من المشروع، يُعتَبَر المؤتمر كعودة للممارسات والخبرات لما تمّ زرعه من بذور من أجل ابتكار برامج تنشئة وإعادة صياغتها ومساهمة التكنولوجيا الرقميّة في هذا الابتكار. من منّا لم يسمع في السنوات الأخيرة هذه عن مشروع "تمبوس اديب" Tempus–ADIB الذي يتناغم مع كلمة أديب، وهو الشخص المتمرّس في الآداب واللّغة العربيّة، ولكنّ أحرفه الأولى بالفرنسيّة تعني "التعلّم عن بعد والابتكار التربوي" ؟ نحن نعلم أيضًا أنّ المكتب الإقليميّ للوكالة الجامعيّة الفرنكوفونيّة في الشرق الأوسط قام بتصميمه وتنسيقه. كما نعلم، قام الإتّحاد الأوروبيّ بتمويل هذا المشروع في إطار مشروع التعاون "تمبوس" Tempus واستمرّ أكثر من ثلاث سنوات، منذ ١٢ تمّوز (يوليو)، مع مختلف الشركاء الأوروبيين (الفرنسيين والبلجيكيين والرومانيين)، و١١ جامعة مصريّة ولبنانيّة، وكذلك ممثّلين عن وزارتَي التعليم العالي والغرفة التجاريّة في كلٍّ من البلدين. هل مصير مشروع "اديب" مأساويّ وقصير الأجل ؟ لا، فمنذ اليوم يعبّر هذا المؤتمر الذي يأتي بعد اختتام المشروع عن حقيقة رائعة : هذا المشروع "اديب" لا يزال على قيد الحياة، ففي أهدافه، قيل إنّ عودة الخبرة، ومساهمته من أجل المؤسّسات، ونهجه التربويّ والدمج الرقميّ كانوا جزءًا سببًا من أسباب وجود هذا المشروع. من هنا، تُعرَض مساهمات اليوم باعتبارها تؤثّر تأثيرًا فعّالًا على نتائج أهداف مشروع "اديب". على سبيل المثال، قامت كليّة العلوم الإقتصاديّة بإصلاح النموذج التعليميّ لشهادة الماستر في العلوم الإقتصاديّة، شعبة الأعمال المصرفيّة والأسواق الماليّة واستفادت من الخبرة التي اكتسبتها من مشروع "اديب" من أجل القيام بورشة عمل إصلاحيّة للشعبتين الأخريين من الماستر (السياسة الإقتصاديّة، وعلوم الإنترنت والإقتصاد الرقميّ) ؛

ومع ذلك، فإنّ السؤال الصحيح الذي يمكننا أن نطرحه يتجاوز الإنجازات نفسها في مجال التعليم أو إعادة صياغة برنامج مزوَّد بمهاراته وملامح إنتاجه. هذا السؤال هو التالي : إذا كانت برامجنا فعّالة جدًّا من حيث التعليم والتنشئة والتعلّم، وإذا كانت شهاداتنا تلبّي احتياجات التوظيف، فماذا نقول إذن عن دُفعات الخرّيجين الشباب اللّبنانيين الذين لا يجدون عملاً، على الصعيد المحليّ، في سوق مزّقته أزمة يبدو أن لا نهاية لها. صحيح أنّنا نقوم بالكثير من العمل لرفع مستوى برامج التخصّص في جامعتنا بحيث تفي بالمعايير الأوروبيّة وتنسجم مع سوق العمل، ولكن عن أيّ سوق عمل نتحدّث ؟ هذه هي اليوم مأساة التعليم العالي في لبنان، أقلّه من يؤمن برسالته وغاية هذه الرسالة : فمن ناحية، على التعليم العالي أن يتكيّف مع السوق ومع مطالب الشركات من أجل أن يوفّر للخرّيجين كفايات ذات جودة عالية، عبر المناهج الدراسيّة، وروح القيادة، والقدرة على التفكير النقديّ، والتمكّن من التفكير وتنظيم الذات، ولكن من ناحية أخرى، لبنان اليوم ليس قادرًا، في ما يتعلّق بالعمل، على اقتراح أربعة آلاف أو خمسة آلاف وظيفة جيّدة لما يقارب نحو ٢٣ ألف إلى ٢٥ ألف خرّيج سنويًّا. بالتالي، يسلك الآلاف منهم طريق الهجرة نحو البلدان الأجنبيّة بحثًا عن فرص عمل، مع العلم أنّ أسواق العمل الخارجيّة أصبحت أيضًا ضيّقة ومزدحمة أكثر فأكثر. ومع ذلك، هدفي ليس التطرّق إلى هذه المسألة، وإن كانت حاسمة. وختامًا، أودّ أن أتقدّم بالشكر من جهة، إلى كليَتَي العلوم الإقتصاديّة والعلوم التربويّة على هذا العمل الذي تقومان به وكذلك إلى المدير العام للتعليم العالي ومدير مكتب الإتّحاد الجامعيّ للفرنكوفونيّة في بيروت الذين يشرّفاننا بحضورهما المُفعم بالرعاية، ومن ناحية أخرى، حان الوقت لسلطات بلدنا لمعالجة هذه الأزمة بشكلٍ جدّي. وأخيرًا وليس آخرًا، لا تستطيع جامعة مثل جامعة القدّيس يوسف أن تستقيل من مهمّتها في التنشئة على التميّز، أقلّه في جزءٍ من رأس المال البشريّ الذي يتمتّع بالكفاءة والثقافة في بلدنا، وهذا الرأسمال البشريّ وحده هو الذي يستحقّ هذا الاسم.